

المجلد: 08 / العدد 02 / ديسمبر (2024)، ص.ص. 46-38

الإبداع الروائي الجزائري النسوي المابعد كولونيالي: قراءة في رواية «وطن من زجاج» لـ «ياسمينه صالح»

Algerian Post-Colonial Novelistic Creativity: An Analysis of Yasmina Saleh's "Watan min Zujaj"

حبيبة مسعودي
messaoudihabiba27@gmail.com
جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل

رمة عمروش*
rima.amirouche@univ-jijel.dz
جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل
مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2024/12/02

تاريخ القبول: 2024/09/26

تاريخ الاستلام: 2024/07/03

ملخص: تُعدُّ "نظرية ما بعد الاستعمار" من أهم النظريات النقدية في الحقل الثقافي وأبرزها، حيث تعتمد على التفكيك من أجل إعطاء صورة واضحة عن "الأخر" ومحاولة وضعه تحت قيود السيطرة والكشف بلسان "الهامش"، وذلك من خلال النبش في الخطابات المخفية ومحاولة زعزعة أسسها التاريخية والسياسية. فكيف حاولت المرأة الروائية تدأرس هذه الحالة من الزعزعة واليأس واللإنسانية، وتدمير بنيانها من خلال تسليط الضوء على زوايا الألم مباشرة ومواجهته؟ وهو ما طرحته الروائية "ياسمينه صالح" في روايتها «وطن من زجاج».

كلمات مفتاحية: ما بعد الكولونيالية، الخطاب النسوي، الأنا، الآخر، المرأة، ياسمينه صالح، وطن من زجاج..

Abstract:

"Postcolonial Theory" stands as one of the most prominent and significant critical theories in the cultural field. It relies on deconstruction to provide a clear picture of the "Other," aiming to place it under constraints of control and reveal it through the voice of the "margin." This is achieved by probing hidden discourses and attempting to destabilize their historical and political foundations. How has the female novelist endeavored to study this state of disruption, despair, and inhumanity, and to dismantle its structure by directly highlighting and confronting the angles of pain? This is precisely what Yasmina Saleh addresses in her novel "Watan min Zujaj" (lit. A Homeland of Glass).

Keywords: Post-colonialism, feminist discourse, the self, the other, woman, Yasmina Saleh, Watan min Zujaj

مقدمة:

تمثل الحياة الإنسانية ومنتجاتها خطأ مستقما عديم السكون والركود، وإنما هي في تطور وحركة دائمة وهو كذلك مع الأدب الذي يمثل طاحونة حاملة لمختلف الجوانب الحياتية، في قدرته على استيعاب انشغالات الحياة عامة والإنسانية خاصة، محولا إياها إلى رموز وإحالات متحركة داخل النسق الثقافي النصي....

*المؤلف المرسل.

في ظل كل هذه التغيرات والتحولات، ظهرت الرواية مستجيبة لمختلف المعطيات المتغيرة في الحياة الجديدة، ومعها بادت الروايات الجزائريات في الساحة الأدبية مواكبات مجريات الواقع بمختلف التقنيات في مجازاتها السردية بعدما «اعتبرت اللغة على مدار التاريخ بأنها مؤسسة ذكورية فحولية، كانت فيها المرأة تكتب معنى ولم تكن ذات فاعلة»¹ نبشت في السوسة التي نخرت الكيان الأنثوي لتتمكن المرأة الجزائرية «والمرأة العربية أن تتخذ من الكتابة وسيلة للمقاومة في ضوء القهر الممارس عليها في شكل أساسي حيث قامت بتجسيد تجارب نسائية مليئة بالوعي المأساوي حول واقعها، من خلال استحضار نصوص مشحونة بالرفض لوضع المرأة في مجتمعات تكرس سلطة الرجل وتسلب وجود المرأة وكيانها»² حتى في الحرف، ومن التدفقات الروائية الجزائرية التي تميزت كتاباتها مضمونا وشكلا وأعنت الساحة الأدبية النسوية "ياسمينه صالح" بروايتها "وطن من زجاج" التي اتخذناها معلما نتكى عليه لنحيط بالإبداع الروائي وطبيعته السردية وتقنياته الكتابية الخطائية، للإمام بجزء من هذا الصرح السري النسوي وتبيان الخطابات المتسلسلة في المتن المحكي الروائي المابعد كولونيالي في الجزائر برؤية نسائية

وعليه فإن هذه الدراسة أثارت فينا بعض الأسئلة والإشكاليات التي سنحاول الإجابة عنها، من خلال تفكيك مضمورات النص الروائي وفق الإعتقاد على أسس ومقولات النظرية ما بعد الكولونيالية، و الإجابة عن الإشكالية الأكبر الأساسية التي تمثلت في:

- كيف كانت الهوية الجزائرية النسوية الجديدة ما بعد الاستعمار؟

- هل استطاع الفكر الجزائري التعامل مع مسألة الآخر والحفاظ على ذاته، في ظل كل تلك الهيمنة والسلطة التي مست هويته؟

- هل تمكن الخطاب ما بعد الكولونيالي الجزائري النسوي خاصة، أن يقف ويكشف تلك التصادمات التي طالت الكيان و الهوية الجزائرية؟

- ما هي التحولات التي جسدها السرد الجزائري النسوي من ناحية الإبداع والثقافية، من خلال الخطاب ما بعد الكولونيالي؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، سنقوم أولا بتقديم مفاهيم أولية للنظرية مابعد الكولونيالية وخطابها، ثم نلج إلى دراسة تطبيقية لأهم القضايا (الذات والوطن المرأة) التي جاءت كمحاور رئيسية في رواية "وطن من زجاج" لياسمينه صالح .

1 - ضبط المصطلحات :

1-1 النظرية مابعد الكولونيالية:

تعتبر ما بعد الكولونيالية إحدى أهم النظريات في مجال "postcolonialism" تهدف إلى محاولة تسليط الضوء على العلاقات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية بين الدول المستعمرة المستعمرة، من أجل فهم وتحليل مختلف التفاعلات التي تنشأ بين القوى الإستعمارية والثقافات المحلية، بمختلف تشكيلاتها السوسيو سياسية الثقافية والإقتصادية والإجتماعية، التي تنشأ نتيجة الإستعمار وبذلك فهي «طريقة في النظر إلى القوة بين الثقافات والتحولات النفسية والإجتماعية التي تحدثها الديناميات للهيمنة، والإخضاع و المتوائمة والإنزياح الجغرافي والغوي»³ والصراع والمقاومة الثقافية المحلية للغزو الثقافي، خاصة بعد فشل النظرية الأدبية الأوروبية في ترويض تعقيدات الكتابة ما بعد الإستعمار من مختلف مجرياتها وخصائصها.

تمثلت النظرية ما بعد الكولونيالية كروية نقدية لقراءة الفكر الغربي مع نظرية الشرقي ومحاولة تفكيك العلاقة بينها «لتعمل على فضح الأيديولوجيات الغربية وتقويض مقولاتها المركزية على غرار منهجية التقويض التي تسلاح بها الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا (j- Derrida) لعنصرية الثقافة المركزية الغربية ونسف أسسها الميتافيزيقية والبنوية، وأن أكثر اهتمام ذي صلة في فكر ما بعد الإستعمار هو تهميش الثقافة الغربية وقيمتها للثقافات المختلفة الأخرى»⁴، وبالتالي كشف وعرض النقص ومختلف العيوب في الأسس القائمة عليها الثقافة الغربية الميتافيزيقية، التي تحمل داخلها الأفكار الفلسفية العميقة الخاصة بكل من الواقع وكذا الوجود والمعرفة،

إن تيار فكر مابعد الإستعماري يمثل تيارا فكريا يسعى إلى نقد وتحليل التيارات الخاصة بالإستعمار الثقافية والإجتماعية وكذا السياسية، وصب الإهتمام على كيف يتم تهميش وتقليل شأن الثقافات من قبل الثقافات المهيمنة الغربية، أما من

زاوية أخرى فإن «برنامج ما بعد الكولونيالية فهو على نحو أكثر تخصيصاً ذي طابع سياسي، إذ يقوم على تفكيك الحدود والمحددات التي تقوم على الهيمنة، والتي تخلق علاقات قوة غير متكافئة تقوم على تلك التقلبات الشائنة من قبيل "نحن وهم" و"العالم الأول والعالم الثالث" و"الأبيض والأسود" والمستعمر *coloniser* والمستعمَر *colonised*»⁵ نظرية ما بعد الإستعمار تهدف إلى فحص واستكشاف والتحليل ما تنتجه الثقافة الغربية، ومحاولة زلزلة الخطابات السلطوية التي عبرت عن رغبة الغربي في السيطرة والهيمنة على العالم بطرق مباشرة وغير مباشرة، فعملت على التقويض والتأثير في الثقافات والشعوب الخارجة عن إطار النظام الغربي، يعتبر هذا التحليل جزءاً من محاولة فهم أعمق وأدق لتأثير المستعمر والتفاعلات الثقافية التي تنشأ عنه.

أبرزت الفترة المعاصرة في القرن العشرين مصطلح "ما بعد الكولونيالية"، وأخذ انتشاراً واسعاً بفضل موقعه في الدراسات الثقافية التي حاورت وجادلت مختلف القضايا والنصوص، التي تعيد للقارئ اعتباره بعد ربح من زمن السيطرة والتهيميش البنيوي ذي الصيغة النسقية المغلقة، لدى فإن مصطلح ما بعد الكولونيالية جاء بعقلية ثورية، لزحزحة المراكز وهيمنتها وتسلط الضوء على مختلف حواف وشروط المجتمعات المستعمرة خاصة الصراعات السياسية والثقافية والاجتماعية التي خلفها المستعمر في حق المستضعفين من الشعوب.

2-1 الخطاب ما بعد الكولونيالي:

لقد كان للنظرية ما بعد الكولونيالية أثر كبير على الأدب والدراسات الثقافية، حيث ساهمت في تشكيل طريقة يتعامل بها الكتاب مع الأدب الذي تنتجه حياة الشعوب المستعمرة، كمواضيع تمارس عليها الإيديولوجيا متأثرة بهذا الواقع، فإن مرحلة ما بعد الكولونيالية تمثل أثراً نصياً واستراتيجية للقراءة، تحلل وتكشف الأثر الذي خلفه الإستعمار، وغالباً ما تعمل الممارسة النظرية لما بعد الكولونيالية على مختلف المستويات، فهي من جهة تحاول الإبانة عن حالة ما بعد الكولونيالية التي تنطوي عليها نصوص مختلفة معينة، في حين تحاول من جهة أخرى إمالة اللثام عن بنيات وأومؤسسات باقية من القوى الإستعمارية.

وهذا تكون الدراسات ما بعد الكولونيالية قراءة لمجموع النصوص بهدف الوصول إلى تحقيق التحرر الفكري والثقافي من الإستعمار وهيمنته، وذلك عن طريق تفكيك وتحليل مختلف البواعث التي جاء بها الإستعمار⁶، وبهذا يتجه هذا الخطاب التحليلي إلى تفكيك الخطابات الإستعمارية وإعادة التفكير بتجاوز الأطر الإنغلاقية التي حاصرت النص الأدبي، وبالتالي انفرجت حدوده النفسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية....

إن «النصوص ما بعد الكولونيالية تتبنى هدفاً سياسياً أكثر تحديداً ألا وهو الخلخلة المستمرة للسلطة السياسية والثقافية للإمبريالية»⁷، وبالتالي خلق نظرة مغايرة يشتغل فيها هذا الأدب على تصوير مخلفات الإستعمار على الشعوب المستضعفة في حالات المعاناة والبؤس والشقاء وكذا محاولة خلق إنسان جديد.

«شكل هذا الخطاب الجديد خطاباً مضاداً لخطاب المركز ليتشكل ما يعرف بصراع الخطابات أو صراع الهامش والمركز في الخطابات النقدية، فالتصّ سلاح إيديولوجي في مجتمعات سلطوية فكرية سياسية وكل فريق يرى نفسه في النص ويسقط عليه آمانياته ويرى فيه دفاعاً عن مصالحه وهجوماً على خصومه، وهكذا يكون النص خادماً لفئة سياسية واجتماعية معينة تملك وسائل التساقط والإستبداد ما يكفي لهزيمة الآخر»⁸، بعدما أصبح الخطاب كتلة مشحونة الأساليب والأفكار المحملة بالأنساق المضمرة، القادرة على خلق مجموعة من الحلول لمختلف المحولات الثقافية التي ترسبت في الفكر الإنساني، وإلى أبعاد من ذلك لغوص و تشابك مع داخل الفكر والثقافة والحضارة ومختلف الرواسب التي تشكل الأسس الكبرى للمجتمعات، وفق تيار تحليلي ينبثق من دافع سياسي يقاوم ذلك الإستعمار ويسعى لإلغائه،

هي نظرية تتخطى الحدود الزمنية لتنتشر توجهاتها وتأثيراتها عبر الزمن والمكان، وتعد من أهم النظريات الأدبية والنقدية التي ظهرت في فترة ما بعد الحداثة، خاصة بعد سيطرة البنيوية على المشهد الثقافي الغربي وتفوق العقلانية الغربية وانتشارها في الفكر العالمي، ليصبح الغرب مرجعاً رئيسياً للعلم والفهم والابتكار، بعد قصور النظرية الأدبية التي أبانت عجزها في التعامل مع معطيات الكتابة المعقدة لما بعد استعمارية وتبايناتها وتحيل هذه النظرية إلى أن الإستعمار التقليدي قد مضى وقته وحل مكانه استعمار جديد ذو هيمنة، قد حطّ رحاله ويستدعي تحليلات أخرى جديدة تتماشى معه.

2- دراسة تطبيقية:

جاءت قضايا (الذات والوطن المرأة) كمحاور رئيسية في رواية "وطن من زجاج" لياسمينه صالح، حاورت فيها الروائية الزوايا المضلعة في المجتمع الجزائري في فترة عرفت الإهتزاز والركود في الآن نفسه في المجتمع، والنفور من الكلام من طرف الرواة، فحاولت الكتابة بحرية دون قيود أو تواطئ مع الآخر، أخذة على عاتقها مهمة النضال بالحرف والكلمة، من خلال صوة المرأة الجديدة "The new woman".

2-1 رعشة الوطن:

« حين نستيقظ صباحا ولا نجد وطننا تتكى عليه، نكتشف حدة اليتيم والفراغ الموهل الذي نجّزه يوميا في عمرنا الجاهز للانكسار، واليتيم،، واللاأمل...»⁹ هكذا افتتحت ياسمينه صالح روايتها "وطن من زجاج" لتبدأ رحلتها الكتابية، بتقديم رؤية جديدة عن فترة العشرية السوداء في الجزائر بعيون امرأة أرادت كشف جانب من جوانب هذه الفترة المسأوية...، لكن من زاوية نظر أخرى هي زاوية المرأة بتصرّح مباشر من الروائية عن شدة الفاجعة التي حلت بالوطن، لتأخذ بعاتقها مهمة كشف المنظومة العمياء التي خلقت فوضى الحكم والسيطرة على شعب أعزل وشكلت فسيفساء من دماء أشلاء شعبها، لتثور بقلمها لقول الحقيقة...

تسترسل ياسمين صالح في سرد أوضاع الوطن مستقصية تجربة العنف والصدمة من الهامش حيث تصبح الحياة الإنسانية متوقفة منعقدة، «في غفلة من الزمن كان الكلام بلا جدوى قبالة وطن يموت فيه أنبائه ذبحا كانت الجثة مرمية على الأرض غارقة في الدم، كمن نبذل حمدا كي لا نمشي فوقها رأيت أطفالا صغارا مذبحين ونساء، كانت لحظة الرعب الأخيرة قابضة على ملامحهن التي لم يبق منها سوى الجزع الأبدى»¹⁰ إن توظيف الساردة لمسارح واقعية طويلة عملية السرد ماهو إلا لتشير تلك الأسئلة المستفزة حول الماضي الإرهابي وتنكيلاته بالإنسانية في الجزائر، وكذا تحرير الذات وكشف صورة الآخر وجعلها في صورة متهاوية أمام المتلقي عن خبايا الإرهاب في وقت لم تكن الجراة عند معظم الكتاب والكتابات حتى بذكر هذا الأخير "الإرهاب"، لتسترسل ياسمين صالح مرة أخرى في ذكر الأعمال الشنيعة التي طالت الجزائريين في أوضح صورها، فتسرد الروائية على لسان شخصيتها التي أولته مهمة الغوص في حشيات وأغوار المجتمع «كان الطبيب مضطرا إلى إعادة الرؤوس للجثث الكثيرة لم يكن يعنيه أن يوصل رأسا إلى صاحب الجثة، كان يخطئ في كثير من المرات فيلصق رأس شخص آخر على جثة مختلفة البنية فيصير شكل الشخص الميت غريبا، ذات مرة اكتشفنا أن الخطأ صار فادحا حين تم إضافة رأس المرأة إلى جثة رجل، رجل لم يعثر أحد على رأسه، بينما المرأة لم يعثر أحد على جثتها فاضطر الطبيب إلى خياطة رأس المرأة إلى جثة الرجل الذي لم يأتي أحد للمطالبة بكليهما»¹¹ لتبين الوجه الحقيقي للمأساة التي طالت الشعب والوطن معا التي حاول الآخر تمويهها، ولتبين للمتلقي الصورة الظلامية المتشعبة ومدى اليأس والإحباط الذي اخترق كافة فئات وشرائح المجتمع وتفكيكها «فمن البديهي عندما يتعرض الإنسان لشيء ما، فإحساسه بالابتنائية يتشظى ويفقد الهوية والوحدة المكانية التي تحمل أبعادا دلالية تؤثر في تطور الأحداث، وما تعانیه الشخصية من صراع نفسي ومادي وسيكون من المسلمات أن تختلف نظرة المهمل للوطن عن نظرة الماسك بالسلطة فالأول يراه كتيبا ومظلم و الآخر يراه جميلا»¹²

وهو ما أثارته بصورة مباشرة ياسمين صالح ولم تغفل عن قسمة الوطن وخباياه حين رصدت صوت الشعب في عز الأزمة واختفاء أصحاب السلطة منها أو محاولة تزييفهم الحقيقة حين قبعوا على رأس الهرم السلطوي «إيه يا خويا اللي داروها راهم مخين رأسهم، أولادهم راهم في فرنسا ولا انجليز إحنا اللي نخلص وإحنا اللي نموت في بلاصتهم!!...»، كان الوطن أصبح كذبه يا صاحبي الذين باعوا الوطن هم الذين يتكلمون عنه بحماس»¹³، إن هذا الإعتراف على لسان واحد من عامة الشعب ما هو إلا أثر لتشظي حقيقة الوطن الذي تغيرت مؤثراته وميزاته من أمن وأمان وسلام إلى عنف وقتل ودمار، وطن ساحته تحولت من سلام إلى ساحات قتل وخراب وطن يشده أرضا قاطعا له أجنته للعيش بعيدا عن القلق والضياح.

لم تكتفي الروائية ياسمين صالح بهذا القدر من التنقيش في المحظورات الوطنية بل غاصت إلى غياهب الهوية الجزائرية لتستبين حجم الإنكسار الذي أردفه الوطن داخل ساكنيه، ليتهاقوا على الهرب منه بأي وسيلة منهم حتى وإن كانت بالسب والشتم من طرف الآخر المستعمر بحثا عن ملجأ لا تمارس في شوارعه طقوس الموت «الجزائري الذي يفقد كرامته

قبالة نفسه قبالة عمره المشرب من ثقب البطالة والوجع اليومي ، الجزائري الذي حين يعجز عن الكلام يبدأ بالحلم .. يحلم بالهرب وليس بالتغيير لأنه يدري أن التغيير كذبه لا تتجزأ عن كذبه الوطن! فما الوطن أمام هذا الشتات الرهيب»¹⁴ وهذه هي صدمة الواقع ...؟.

2-2 الآخر والإنشطار الناتي :

طالما كان اهتمام المفكرين والدارسين قديما وحديثا في مختلف العلوم الإنسانية بقضية الذات ، هذه الأخيرة التي تباينت الآراء حول ماهيتها خصائصها تعريفاتها... نظرا لقيمة الكبرى التي تحتلها في تشكيل الشخصية الإنسانية ككل «فالأذات مشكلة الهوية الفردية وتشير إلى جميع الخصائص الشخصية والجسدية والأدوار والقيم حسب " سيغموند فرويد " ، فهو أول من أشار إلى تشظي الذات الذي يشكل الشخصية السوية وبمخيا نموًا سليما، فقد قسمها إلى مظاهر متعددة الأنا حجرها الأساس في التكوين، ولها دور وظيفي كبير تنفيذي في الشخصية التي تنتج من توازن قوتين هي الأنا التي تشير إلى السلطة الإدارية للشخصية الكلية مع خضوعها لرغبات الهو، ونمو الأنا الأعلى الذي يعكس القيم التقليدية الصارمة للمجتمع والسلطة الوالدية والهو الذي يشير إلى كل موروث غريزي إلى جانب العمليات العقلية المكبوتة»¹⁵ لذا فقد اشغلت الروائية "ياسمينه صالح" على مكون الشخصية وفق نموذج بنوي فردي يشتغل على شخصية أخذت على عاتقها مهمة السرد لكن كانت بمجاورة شخصيات أخرى في بعض الأحيان من أجل استنطاق المكونات الداخلية وزعزعتها وكذا تدعيمها من أجل استكشاف البواطن خلف الأسوار النفسية للشخصية الرئيسية في الرواية التي لم تكشف عن اسمها، ذلك الشاب الذي استفاق ليجد نفسه ويتم الأم ويتم الأب بعد هجران هذا الأخير له لتستمر حياته في زمن رتيب حدد له «من أنا؟ لعلني أفكر في تفاصيل البداية التي ظلت تطاردني كل ما ظلت تربطني الى قناعاتي القديمة باني لا املك شيئا في النهاية»¹⁶ ، في زمن اقتصت منه الحياة حتى قبل بدايتها معلنة بنية الخراب التي ضغطت على مصائر حددت سلفا (الموت القتل...) لتنتهي الوقت قبل بدايته

الملاحظ أن الروائية "ياسمينه صالح" في الرواية تسترسل في طرح أسئلة لا متناهية تحكي عن مختلف أوجه التغريب الأنا داخل الوطن، وتديره ثنائية الأنا والآخر في المتن الروائي، لتعبر عن آلام وآمال الفرد الجزائري وتحط حدود الآخرين ونظراته المتعالية نحو الأنا ، «إن هاجس الآخر سيبقى يسكن الكتابة في الجزائر ولا غرو في ذلك فالأدب الجزائري الحديث ولد من رحم المأساة الكولونيالية ولكن إذا كان جيل الرواد قد اختار خندق المقاومة والمواجهة المكشوفة مع الميتربول، وكتب من منظور تحريري واع بمقولات الهجمة الثقافية وحاول بكل نبل أن يفكك الخطاب الاستعماري ويفتح مركزته الإقصائية، فإن الجيل الحالي يبدو موهوسا أكثر بنبل الاعتراف من الآخر»¹⁷ وهو ما تبنته الروائية "ياسمينه صالح" وما هدفت لتعريبه في رواية "وطن من زجاج" ، بكشف جرائم ودنات معاملات الجيش الفرنسي واستحقاقته للأنا الجزائرية، خاصة الوطنية منها ليحكي "عمي العربي" عن طفولته عن أول لقاء وجهها لوجه مع مستعمر وطنه ، «نخأة علقت في مخيلته الصغيرة صورة الجندي وهو يصرخ بهستيريا وبلغة لم يكن يفقهها كان الجنود يبعثون عن شيء لا يعرفه، يوجهون الأسئلة لوالده بنفس العصبية والصراخ ثم ينهلون عليه ضربا، ثم بسرعة بدت مخيفة اقتادوا والده خارج البيت.. جرّوه الى عربة عسكرية انطلقت بسرعة قبل أن تختفي عن الأنظار»¹⁸ يعود عمي العربي باحثا ومتلامسا ذاكرته باحثا عن أناه في عمر الصبي الضائع بلا أب في وطن انكسر في ناظريه ...، طفولة استنكار وألم للمستعمر الظالم الناكرو المستبد لكل ما هو جزائري

«اختفى والده لم يره من وقتها يوما تساءل العربي عن هذا الوطن الذي يستسلم لهكذا محتلين يطأطأ رأسه لمروور دباباتهم العسكرية أمام بابه الوطن الذي يصبق على عليه الجندي الفرنسي حين يتكلم عن الجزائريين البائسين الذين يصفهم بالأوباش»¹⁹ وهو محاولت فرنسا الوصول إليه بتبشيع وزلزلة صورة الوطن في وجوه الجزائريين، وتوجيهها لما يخدم مصالحهم بتفريطهم في وطنيتهم الجزائرية وتهشم قواعدها وإعادة توجيهها للخدمة الفرنسية فهي مصدر السلطة والأمن والقوة لشعبها صورة مباشرة لطمس العالم الوطنية في الذات الجزائرية المشتتة ومحاولتها حثائها لصالحها بعد إغراقها في الظلم والدماء، وزرع التشكيك في الوطن القادر على احتوائهم وآمالهم وآلامهم.

« في العشرين من العمر وجد نفسه يتحول من مجرد شاب إلى مقاوم هل كان عليه أن يعيش السنوات العشرين كما يعيشها الشباب الفرنسي مثلا؟ مستمتعا بالحياة يحب ويعشق ويتزوج وينجب أطفالا يجرهم في عربته الصغيرة بجانب

زوجة جميلة وسعيدة؟ لم يكن له تلك الأحلام لم يكن له الحق فيها ولهذا صار جزائرياً»²⁰ وهو ما صرحت به الروائية «ياسمينه صالح» بصوت الحرف الصاخب كاشفة تأثير الآخر المستعمر هنا على الشخصية الجزائرية التي انتجت وخلقت هوية ذاتية مضطربة تحمل بجية الآخر شاب المستعمر ، ويذم وطنه الذي كسر يده وأرجله من أجل خلق حاجز الدفاع عنه وعن أعلامه، وأورثته سوى الحياة الضنكا بلا مستقبل، مغمشة الأنا مطهرة من الحب الوطني ضعيفة حد الشراسة اتجاه نفسها خاصة بعد ولوج استعمار آخر (الإرهاب) الذي نشر جو الموت ونشر معها موت الأنا، والذي أشارت إليها الروائية في بداية الرواية فأخذت الروائية على عاتقها حمل هموم وآلام الناس وتصويرها لإعطاء وتبيان وجه الحقيقة مراد تغييره عن العالم عن وضع الوطن الجزائري باندماجها مع الفضاء العام وأهلها، ولما حمة ذلك الأخير من نوع مختلف هو الإرهاب «تلك الظلال الرهيبة التي يسميها الناس إرهابيون أو منطرون أو مسلحون أو متمردون أو معارضون»²¹ في وموضع آخر على لسان شخصية من الرواية «كلما اعتقدت أنني نجحت في النسيان يحضرنني وجه الرشيد ليسألني من أنا حقاً يا صاحبي؟ من أنا حقاً يا رشيد؟ وم من الأعوام عشت لأبدو همرا من الداخل إلى هذا الحد؟ عشت أبحث عن تفاصيل مدينة اكتشفت أنها لا تعني تماماً، 30 عاما من الإحباط والفرح والكذب والإنكسار اليومي قبالة تاريخ لا يقول الحقيقة ففي 30 من العمر يصير العمر أشبه بكذبه أبريل»²² لنلمس عمق الشرخ الداخلي داخل الشخصية الرئيسية، والذي نجم عندها أزمة هوية حادة مشروخة بسببها تشكلت انقسامات داخلية عميقة وصراعات، الذي نتج بسبب الصراع و المتطلبات الإجتماعية المختلفة وتناقضاتها مع المعايير الخاصة بها ، ومختلف التجارب المؤلمة التي تسبب بها الماضي. لتشكل هذه الأخيرة جسرا منكسرا لا يقوم بواجبه « إنها المفارقة التاريخية والحضارية والوجودية التي يسبر السرد تداعياتها على الشخصيات وتكرس بنية الخراب الروحي والمادي حيث أصبحت عرضة لليأس والإحباط ومصائر الموت والجنون والتشرد فالحياة بالنسبة لهم لم تعد جدية بالعيش، لا تستحق أي قيمة تصبح القيم والمعايير أمرا غير ذات أهمية في منظور الشخصيات ويبين السارد أن حياة الشخصيات تتحلل إلى الخراب والتفكك الحقيق، بسبب افتقارها إلى محور تماسكي تؤلفه الفاعلية التي تنشأ في قلب الشخصية في الوقت نفسه تحرك الإنسان بأسره بشكل مستمر »²³ ليحدث ذلك القسر الذي كان سببه الآخر ، جعل شعبا يتبنى الموت على البقاء حيا دون أدنى شك من التردد ، «وها أنا أفكر في الموت لأول مرة منذ مدة أصبحت أمشي في الشوارع التي أتوقعها الأخطر وأجوب الأزقة التي أتوقعها الأقتل ... كل حواسي تعطلت فجأة تحولت إلى شخص قابل للطعن قابل لرصاصة سهلة تصيبه في رأس أو الظهر أو الصدر ... »²⁴ ، لتصور لنا مدى الانهيار النفسي الذي تملك الشعب الجزائري وقت التسعينات الذي سطر في مرحلة تحت الصفر انهار مقدسه معلنا نهاية إنسانيته وانفصالها عن الذات، والوصول في النهاية إلى تراجيديا شخصية ، وهذا النوع من الألم نابع من القهر و الإسغلال العميق المدمر الذي مارسه الآخر على الأفراد، وجعلهم يعانون من إغتراب وعزلة وشعور عميق بالوحدة .

2-3 المرأة وتقويض الذكورة.

لطالما كانت قضية المرأة في العالم العربي والغربي محط وجهمة الكثير من الكتاب والأدباء ، وأسالت الكثير من الخبر فكتب عنها الصحفيون والرواة والكثير من الأدباء خاصة المهتمين بالدراسات ما بعد الكولونيالية لتأخذ الريادة في مواضيع الكتابة الرجالية والنسائية، خاصة هذه الأخيرة التي سطرت لأقلها حدودا خارج المؤلف «يأتي اهتمام المرأة بالكتابة، من خلال مواجعتها لطريق مسدود حددت هندسته الثقافية الذكورية السائدة التي عملت على وضع كينونتها على هامش المجتمع ، وبذلك اجتاحت كتابة المرأة نزعة امتلاك الوعي بالذات الكتابة بالإضافة إلى امتلاك شرط الحرية في التعاطي مع هذه الحرية الثقافية فأصبح للكتابة وظيفة مزدوجة تنتقل من فك الأغلال الخارجية إلى تحرير القيود الداخلية فانفتحت الكتابة على لغة اللاوعي، واعتبر عامل التخيل عند الكتابة عاملا من عوامل إستعادة الأنوثة وانتشالها من منظومة الخطاب العام»²⁵ ومن هناك كانت «ياسمينه صالح» تتفنن في طرح تقويضها الذكوري بحلة المرأة الجديدة في عدم جعل الأنثى فريسة صعبة المنال من الرجل الذي جعلته في سباق وتفكير دائم في كيفية الحصول عليها «قلبي مكنتظ بالأسئلة ... هل يمكن لشخص مثلي ان يحب امرأة مثلك؟ امرأة تنظر إليه بغرور ولا تعرف ما تركته في ذاكرته من تفاصيل وعقد ما زال مدسوسا في جيب قلبه »²⁶ لتكسر ياسمينه صالح خطاب الرجولة باعتراف صريح منه للمرأة التي عادة يرفض أن يكشف فيها الرجل خبيته في الإستحواذ على حبها وعن رفضها مقابلة هذا الحب لتكسر بذلك «ياسمين صالح» ذلك

الاستعلاء الذكوري مقابل الأنوثة الجزائية، التي أبت مبادلتها نفس الشعور بل جعلته يتنناها في جلساته ويعلن الإنكسار التام أمام أنوثتها «تمت لو كنت قبالي لحجلت أمامك هكذا حزينا لو كان بإمكانك أن أقول لك أحبك لتبتسمي أو تقولي لي أحبك لأنظر إليك بعمق وارتيك لو كان لي أن أصدق لحظة واحدة أنك قابلة للرجوع إلي فابتسم كأنك كنت لي حقا لترجعي إلي»²⁷ إن هذه الحالة من اعتراف الرجل للمرأة وانكساره أمامه وحتى تمنيه إياها ماهو إلا نظرة أخرى واعتراف من المرأة، بأن زمن التبعية النسوية للآخر قد ولّ وحل مكانه أنثى بوجه وإحساس آخرين رفع مكانتها وعكست المراتب التي رسمتها العادات والتقاليد، وخلق تغيير في ميزان القوى التقليدي وبالتالي انكسار السلطة الذكورية، وفقدان سلطتها وسيطرتها التي آمنت بها لزمن طويل بأنها مكسب لها، وبالتالي إحداث انكسار للرجل وانهباه من قمته نتيجة مواجهة امرأة ذات شخصية نسائية قوية مستقلة بذاتها وبكيانها تحدث القوالب النمطية التي وضعت لها، وللجنسين، وبالتالي خلق حالة جديدة تعيد تقييم دور الآخر ومكانته.

خاتمة:

- من خلال دراسة الخطاب الروائي في رواية "وطن من زجاج" لياسمينه صالح تتضح لنا صور متعددة الأبعاد لمجتمع جزائري معقد البنية، عاش حالة من الإضطراب الهوياتي والنفسي والاجتماعي والسياسي، سلطت عليه الضوء الروائية وفتحت مغاليق محرمة عززت من قوة الرواية النسوية و قوة خطابها في مجتمع مضطرب لتقدم رؤية نقدية للمجتمع وواقعه
- لعل أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة هي:
- في رواية وطن من زجاج نلمس محاورة جادة لخطابات الآخر، وذلك من خلال كسر حالة الصمت الذي ساد الوسط التاريخي على طول الرواية ومحاوله زعزعة الرهانات الثقافية وعلاقتها مع الغير.
- تقديم رؤية نقدية للواقع بعيون أنثوية وأصوات نسوية تعكس معاناة النساء في المجتمعات الذكورية، وكيفية تأثير مختلف الأحداث الداخلية والخارجية
- عودة الروائية ياسمينه صالح إلى بقايا التاريخ والنبش في المسكوت عنه من أجل إعادة كتابة التاريخ من وجهة نظر الهامش الذي أعطى صورة عن الواقع المخفي
- فضح الخطاب الأنثوي المابعد كولونيالي لأعمال المستعمر الأول (فرنسا) والمستعمر الثاني الإرهاب، وكشف جرائمه في حق الإنسانية على لسان الهامش في رواية وطن من زجاج.
- مقاومة الخطاب ما بعد الكولونيالي الجزائري للآخر وإتجاهه خطاب المقاومة والرفض.
- إنكاء الروائية على المرجعية التاريخية المؤلفة جعلها تفرز الكثير من تفاعلات الآخر مع الأنا وهو مشاهدناه في تصوراتها المشهدية في الرواية

الإحالات:

- 1-فاطمة كدو: الخطاب النسائي ولغة الاختلاف مقارنة الأنساق الثقافية، مطبعة دار الأمنية، دط، الرباط، 2004، ص 104.
- 2 -بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية المغاربية، دار الطباعة والنشر والإشهار، ط1، تونس، 2003، ص 15.
- 3 -روينسن دوكلاس: الترجمة والإمبراطورية الدراسات ما بعد الكولونيالية دراسات الترجمة. تر نائر ديب، مجلة نزوى، العدد 45، 2009، ص 113.
- 4 -أحمد عبد الحليم عطية: ما بعد الكولونيالية فيما بعد الحداثة قراءة في المختبر الجزائري، مجلة الإستغراب، العدد 12، سنة 2018، ص 169.
- 5 -هيلين جيلبرت، جوان تومكينز: الدراما ما بعد الكولونيالية للنظرية والممارسة: تر سامح فكري، مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون المصرية، القاهرة، 2000، ص4.
- 6 -ينظر: بلقنايل حلجة، بودالي التاج: الرواية الجزائرية بين الدراسات ما بعد الكولونيالية والأدب المقارن، مجلة التعليمية، المجلد 12، العدد 1، السنة 2022، ص 543.

الإبداع الروائي الجزائري المابعد كولونيالي: قراءة في رواية «وطن من زجاج» لـ "ياسمينه صالح"

- 7- هيلين جيلبرت ، جوان تومكينز: الدراما بعد كولونيالية النظرية والممارسة ، مرجع سابق ، ص 4 .
- 8- عدلان رويدي ، محاضرات مقياس : نظرية القراءة ، نقد عربي حديث ومعاصر، كلية الآداب و اللغات جيجل ، 2020 2019 ، ص 93 .
- 9- ياسمينه صالح : وطن من زجاج. ياسمينه صالح: وطن من زجاج، الدار العربية للعلوم -ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2006 ص 5 .
- 10- ياسمينه صالح : وطن من زجاج، المصدر نفسه، ص 73 .
- 11- المصدر نفسه، ص 78 79 .
- 12- أماني حارث: مالك الغاني تشظي (الذات، الهوية، الوطن) في رواية حارس التبغ للروائي علي بدر، جامعة القادسية كلية التربية للبنات ، social journal volume 6 (2 January& Route educatonal ، 2019 ، ص 448.
- 13- ياسمينه صالح: وطن من زجاج، مصدر سابق، ص 52 .
- 14- المصدر نفسه، ص 85 .
- 15- أماني حارث، مالك الغاني: تشظي (الذات، الهوية، الوطن) في رواية حارس التبغ للروائي علي بدر، مرجع سابق ، ص 432 .
- 16- ياسمينه صالح، وطن من زجاج، مصدر سابق، ص 28 .
- 17- حميد عبد القادر: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية - جلد الذات والخضوع للإملاءات- ضفة ثالثة، منبر ثقافي عربي ، 2018 2017 ، موقع: <https://diffah.alaraby.co.uk/diffah> ، الساعة 14: 12 التاريخ 9- 11- 2023 .
- 18- ياسمينه صالح: وطن من زجاج ، المصدر نفسه، ص 14 .
- 19- المصدر نفسه، ص 14.
- 20- المصدر نفسه، ص 15.
- 21- المصدر نفسه، ص 7 .
- 22- المصدر نفسه، ص 69 .
- 23- محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف ، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف ، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2014 ، ص 129 .
- 24- ياسمينه صالح: وطن من زجاج، مصدر سابق، ص 161 .
- 25- بويش منصور: الرواية النسوية الجزائرية والتجربة تقويض الذكورة: دراسة نماذج ، مجلة جسور المعرفة ، المجلد 9 العدد الثاني ، مارس 2023 ، ص 90 .
- 26- ياسمينه صالح: وطن من زجاج، مصدر سابق ص 109 .
- 27- المرجع نفسه، ص 136 .

المصادر والمراجع:

1- المصادر:

- 1- ياسمينه صالح: وطن من زجاج، الدار العربية للعلوم -ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2006.

2- المراجع:

- 1- أحمد عبد الحليم عطية: ما بعد الكولونيالية فيما بعد الحداثة قراءة في المختبر الجزائري، مجلة الإستغراب، العدد 12 ، سنة 2018 .
- 2- أماني حارث: مالك الغاني تشظي (الذات، الهوية، الوطن) في رواية حارس التبغ للروائي علي بدر، جامعة القادسية كلية التربية للبنات ، Route social journal volume 6 (2 January& educatonal ، 2019 .
- 3- بلقادي حليم ، بودالي التاج : الرواية الجزائرية بين الدراسات ما بعد الكولونيالية والأدب المقارن ، مجلة التعليمية، المجلد 12، العدد 1، السنة 2022 .
- 4- بويش منصور: الرواية النسوية الجزائرية والتجربة تقويض الذكورة: دراسة نماذج ، مجلة جسور المعرفة ، المجلد 9 العدد الثاني ، مارس 2023 .
- 5- بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية المغاربية، دار الطباعة والنشر والإشهار ، ط1 ، تونس، 2003

- 6-حميد عبد القادر: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية - جلد الذات والخضوع للإملاءات- ضفة ثالثة، منبر ثقافي عربي ، 2017 2018 ، موقع: <https://diffah.alaraby.co.uk/diffah> ، الساعة 14: 12 التاريخ 11- 9- 2023 .
- 7-روبسن دوكلاس : الترجمة والإمبراطورية الدراسات ما بعد الكولونيالية دراسات الترجمة، تر نادر ديب، مجلة نزوى، العدد 45، 2009 .
- 8-عدلان رويدي ، محاضرات مقياس : نظرية القراءة، نقد عربي حديث ومعاصر، كلية الآداب و اللغات جيجل ، 2019 2020 .
- 9-فاطمة كدو: الخطاب النسائي ولغة الاختلاف مقارنة الأنساق الثقافية ، مطبعة دار الأمنية، دط، الرباط ،2004
- 10-محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف ، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف ،دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2014 .
- 11-هيلين جيلبرت، جوانت تومكينز: الدراما ما بعد الكولونيالية للنظرية والممارسة: تر سامح فكري، مركز اللغات والترجمة ، أكاديمية الفنون المصرية ، القاهرة ، 2001 .